دیکولتیه

ديكولتيه

قصص

إيمان الدواخلي

تصميم الغلاف : محمد كامل

رقم الإيداع : ٢٠١٢/٢٢١٨

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ١٢٩- ٧

دار اكتب للنشر والتوزيع

OKTOB.NET

الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة .

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : ٠١١١٠٦٢٢١٠٣ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨

مكتبة اكتب : ٤٠ ش أحمد قاسم جودة من ش عباس العقاد ، خلف سيراميكا كليوباترا ، القاهرة .

هاتف : ٠١١١٤٣٢٨٥٢٥

E – mail :daroktob١@yahoo.com

Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، ٢٠١٢م

ديكولتيه

إيمان الدواخلي

قصص



دار اكتب للنشر والتوزيع



أشعار قصة "متيم"

مهداة من أستاذي الشاعر الرائع / عبدالله صبري



أفق



هناك.. ذلك البحر.. حيث تتوج الزرقة ملكة على كل أزرق.. ويتهادى ، أو يطرق ويصخب، منسحب على البر البلاتيني.

هناك حيث بياض السحب بالأعلى شفيفة.. وزرقة السماء المحيطة بوجه الشمس الذهبي تنافس زرقة البحر حتى يتلامسان في عشق عند قوس الأفق البعيد. ويروي الخضرة عند البر البلاتيني

هناك كانت ..وهناك كان .بحرا وسماء.. بالحب ينسحب على البر هادئا، وبالحب تتلاعب نسماها بنتائف السحب.. وفي الغضب يهدر بأمواجه، ويأكل البر.. وفي الغضب ترعد وتصعق البر..غضب وراء غضب،رغم أن بينهم أيام الصفاء ..البر البلاتيني أغرقه المطر،البر البلاتيني أكله الموج..وتلاشت جزيرة البقاء.. رغم إنهما – البحر والسماء – لا زالا يلتقيان عند خط الأفق



دواعي الاستعمال

(١)

في الغربة، كؤوس من قهر يتذوقها في العمل. كيف يرفع رأسه فوق (لأنه مصري).. يقولونها في الميدان ويقفزون.. ويقفز هو إلى الفراش ساحبا إياها معه.. ليرفع.. فوق.. أنت مصري في الغربة!

(٢)

حوار طويل.. طويل جدا، لا يبرره نقاش سياسي أو فكري.. ولا مصالح متبادلة أو عمل.. لا يبرره سوى كونها امرأة وهو رجل.. ويطول أكثر وأكثر.. فيفرز تعبا لا راحة له.. إلا عند الفراش، حيث دقائق تكمل الحوار الطويل!

(٣)

تلك العباءة المطرزة منذ شهر أدت وظيفتها لأسبوع كامل، وبعد ثلاثة أسابيع لا جديد.

لكن ورقة –يريدها أخوها موقعة من اثنين موظفين ومختومة بختم النسر– تأتي بفرصة.. لا يهم أن تكون بياناتها غير حقيقية.. الأهم هو التوقيع والختم..وأكل ال (محشي).. و.. ليلة في فراش الشكر!

(٤)

"لا".. استطاع ان يرفض بكل جرأة.. ولم تعترض..

ليلا،في الفراش تتأوه..تتقلب ساخنة جدا..يغلي بجوارها.. يحاول تجاهلها، لكنها تنجح في جعله يشتعل.

يهجم معتليها..وسريعا جدا..أسرع من أن تُدرَك آهة أراداها..ويلهث.

تنقلب على جانبها معطية ظهرها له،وتظل تتاوه..يربت على كتفها في حنان، معلنا موافقته على رحلتها.


الساعة



الشرخ المار بمركزها..والمتشعب إلى أطرافها.. يشوهها، ويخفي كل داخلها. أهزها.. أسمع خشخشةً.. يبدو أن أشياء بالداخل تكسرت أيضًا. هل أخفيها؟ كيف؟ إن لم أضعها سيسألني عنها.. أنا مقتنع أنه ليس خطئي. هل تعثر أحدٍ في حجرٍ بالشارع خطأه؟!.. أكاد أسمعه مع عزفه الذي حفظته..

"ما أنت طروبش" .. "خسارة فيك الحاجة الكويسة" .. "ولا بتحس أن الحاجة بفلوس أبدا" .. "أنت فعلا على رأي أمك كفاية عليك حاجة العتبة"..

أدسها في جيبي، فلنؤجل السيمفونية إلى وقتٍ آخر، على الأقل إلى أن تسكن آلام جسدي من أثر السقطة. أدخل إلى البيت ملقيا السلام على أمي. تتفحصني بعينها، ثم تسألني:

- أنت وقعت في الشارع وللا ايه؟
- أيوة اتكعبلت في طوبة
- طب ادخل غير واغسل كوعك أحسن متعور.. استنى!

تقوم من مكانها، وتسرع ناحيتي، وتمسك معصمي..

- هي الساعة اتكسرت؟..

ترفع عينها إليّ..تلوي شفتها..تعود لتتفحص اللون الأزرق مكان الساعة، فأطلق تأوهًا يجعلها تتركني. تعود إلى مكانها، فتحمل إبرتيها تحت إبطها، وتكمل غزلها، وهي تتنهد.

أتركها، وأدخل فأغتسل،ثم أستلقي في سريري حاملاً هم الآتي. أفزع على صوتها تناديني للطعام،وهي واقفةٌ بباب الغرفة:

- قوم كل قبل ما ييجي وادخل نام. مش لازم تنكد عليه وهو لسه جاي.. ما هو منظر ايدك باين أصله

- هنام على طول مانيش جعان

تنهرني..

- ماهيش ناقصاك الحكاية.. قوم كل يللا.

لها طريقة عجيبة في إبداء تعاطفها!

سمعنا صوت خطواته وراء الباب، فقمنا مسرعين. أخذت هي الطبقين مهرولةً إلى المطبخ، بينما مسحت فمي بمنديل، واختفيت في سريري. أسمع صوتيهما.. ضحكتها الهادئة بين الحين والآخر.. أصوات الأطباق والملاعق.. ثم صوت باب حجرتيهما يغلق.. وهدوء.

بدأت دقات قلبي تتسارع مع مرور دقائق السكون تلك.. حتى فزعت على الصيحة التي انتظرتها:

- كلب.. خسارة فيه الحاجة.. ولا بيحس بالفلوس أبدًا.. الواحد عايز يعمله بني آدم عليه القيمة ومافيش فايدة

أسمعها همس..

- قلت لك كام مرة هو مش هيتبسط بالغالي.. الرخيص بيريحه ومش بيتزعل عليه.

يعلو صوته أكثر في عصبية:

- أنا الغلطان فعلاً.. لما أجيب له حاجة نضيفة علشان منظره يبقى عدل وسط زمايله أبقى أنا الغلطان. يبقى مهزأ وسط الناس إنما ما يعودش نفسه يحافظ على حاجة

- يا سيدي كل واحد وله اللي يريحه.. هو مش زيك ومش بيقدر يحافظ على حاجته ومش بيفرق معاه الغالي مش بيحس له بفرحة زيادة بالعكس.. بيحس أنه ماشي مخنوق بيه ومش على راحته

كأنك تقرئينني يا أمي الحبيبة.. أسمعه يسألها:

- هو اللي قال لك كده؟

- هو ما قالش حاجة بس أنا كده وحاسة بيه.. أنا مش بحب ألبس ولا اشتري حاجة غالية بحب ابقى براحتي ولو حاجتي

اتبهدلت ما ازعلش عليها.أنت بتحب الغالي ويعيش معاك احنا بنحب الرخيص ونغيره لو اتبهدل ويبقى منه تجديد.. وجهات نظر ماجراش حاجة.. ثم احنا قلنالك ساعة الموبيل كفاية وماعادش له معنى لبس الساعات أصلاً.

ابتسم وأهز رأسي..من شابه أمه فما ظلم..أتمنى أن يقتنع؛ لكن أنتظر انقلابه عليها هي الأخرى. لا أسمع شيئًا لبرهة،ثم صوت باب الحجرة يفتح،ثم يغلق..وأحس خطواتها خارجةً إلى الصالة.أخرج، فأجدها تمسك غزلها، فتخلع الإبرتين منه، وتنقضه مكورة الخيط من جديد.. ربما للمرة المائة.

بالطبع سمعت السيمفونية كاملة في المساء، لكنها خلت من الفرقعات، فقد استقبلتها هي نيابة عني.. بعد أن شرب الشاي، لبس ملابس الخروج، ونزل مع أصدقائه.. حين عاد كان يحمل في يده حقيبة ورقية أنيقة.. تعلقت أعيننا جميعًا بها.. حسنًا إنه لم ينسَ رغم ضيقه بي..

ابتسم، وتقدم إليها يقبل جبهتها..

- كل سنة وأنتِ طيبة..

توجه إلينا بصوتٍ أعلى..

- تعالوا يا ولاد شوفوا هدية عيد ميلاد ماما.

مد يده، وأخرج علبة سوداء.. ابتسمنا جميعا منتظرين.. فتحها أمام عينها لتظهر ساعة من تلك الماركة السويسرية

الغالية.. ولتتلاشى ابتسامتها وهي تتمنى مكواة تفرد قسماتها كي
لا تحبطه.. يخرج صوتها خفيضا..

- تعيش وتجيب.

....



رحلة



يهدر..أتوارى .. أراقب أسراب السمك من وراء الزجاج .. قال إنها رحلة لن أنساها..بدا متحمسا جدا فلم أستطع الاعتراض..بأي حال لم يكن اعتراضي يصنع أي فرق.

سرب آخر..عجيبة أسراب السمك..الجميع متماثلون..الجميع نفس الحركة والمشيئة ..لا أحد يحيد عن الجماعة.

كان يراقبها ويشير بإصبعه فوق الزجاج.. الألوان هي ما تجعله يطلق تسبيحاته .. تخيلت أن السمك حر وهو المحبوس في ذلك القارب الزجاجي.. وضع مخالف لسمكاته الملونة بالبيت .. سعيد هو.

سرب جديد ولكن ذلك الصغير تركه ليلتصق بالزجاج .. أمام موضع التصاق أنفي به تماما.. كأنه ينظر إليّ .. أو ربما يطلق رسالة إلى عقلي .. لم أدر هل أنا من ارتد طرفي أم هو من أغمض لوهلة .. الأسماك لا أجفان لها! .. وفي نفس اللحظة اختفى داخل بطن سمكة مفزعة قبيحة واجهت نظرتي المشمئزة بمجرد تركي

وانسحابها بعيدا..وكأن غضبي لا يصنع أي فرق لديها.

انتهى الوقت..ارتفع القارب بنا..واستقبلنا أبوانا..
كانت الخطوة القادمة المقررة هي النزول إلى الماء..ولم أكن أحب البحر بلا موج كما في هذا الخليج.

جميعهم قفزوا إلى الماء عابثين..وقفت على حافته أداعب الرمال..رماني بالماء فتناثرت قطراته حولي..حاولت البحث عن تلك القطرات التي أصابتني..فلم أجدها بين مساحات المياه حول قدميّ..
رفعت رأسي إليهم .. ولحقت بهم

أمر الله

في بلادنا هناك، في الشرق، نحيا حياة بسيطة. الزراعة حرفتنا، أو يرسلوننا عبيدا ببلاد خليج العرب.

منذ سنوات قليلة، هناك في تلك البلاد ماتت أمي. قالت لي صاحبتها، حين عادت بعد انقضاء العمر والعافية، إن بطن أمي انفجر لأنها رفضت أن تكون أمة مستباحة. ولأنها في حقيقة الأمر أمة، فقد قرروا أنها انتحرت.. ولم يكن من مال لديها ليرسلوها به إلينا.

قالت جدتي إن المال كان موجودا، ولكن أبي رفض أن يضيع المال كما ضاعت أمي .قال إن التراب واحد، والدعاء يصل للسماء لا للتراب. قالت جدتي إن بيتنا الفقير هذا أملكه أنا، لأنه من مال أمي.

منذ شهور قليلة، أتى خالي ليحيا معنا. سمعته يحتد على أبي يوما،ويقول إن هذا حقه في ميراث أخته. أبي رفضه، ولكن جدتي هددت أن تحتكم للشيخ.وبنى أبي حاجزا بين حجرتين لخالي وزوجه وعياله وبين باقي الدار.

منذ أسابيع قليلة، كنت أذهب إلى المدرسة. وكان ابن خالي يذهب معي. وكنت سعيدة لأنني أخيرا أصبح لي أخ أشتم فيه رائحة أم لا أتذكر ملامحها. لكن منذ تلك الأسابيع القليلة وأنا أشتم رائحة أخرى لغدر لم أفهمه جيدا. غدر لم يحمل صفة الخال.

ومنذ أيام، لم يعد الأمر رائحة قط. بل بات واقعا. ذلك أن ذلك الرجل تصيدني، وأنا خارجة لقضاء حاجتي.

كادت أنفاسي تزهق تحت ثقله.وارتفع أنيني.

سمعتني زوجه. أحسست بالنجدة أتتني حين رأيتها. لكن وكأنها تعاقبني أنا أن طمع بيّ رجلها. جذبتني إلى بيتها، وأوسعتني ضربا كي أصمت. لكنني هربت أخيرا من يدها، وجريت إلى أبي لأحتمي عنده.

حين رآني، فهم ما كان. وحمل هم عاره كأنما جبل الشيخوخة حط على صدره.

ومنذ أيام قليلة، أخذني من يدي، دون كلمة واحدة. مد خطاه غير مدرك إني لا أستطيع مجاراته فكنت للجر كالبهيمة أقرب.

دخلنا إلى المسجد،وترك يدي حين وقف أمام الشيخ، الذي أشاح بوجهه عني اقترب منه أبي،وتكلما كثيرا. لم أفهم شيئا مما قالا.. مرت بأذني كلمات مثل الحد، الخطيئة، أمر الله.. اطمأننت لذكر أمر الله، فهكذا أسمعتني جدتي دائما. لكن تذكرت أنها تقولها أيضا حين تتذكر موت أمي.. فانقبضت.

بالأمس، صحوت على أبي يهزني. جرني مجددا، لأجد الناس قد اجتمعوا..قيدوني ..وهوى السوط على ظهري. صرخت ألما.. رعبا..واندهاشا. لكن ضاعت صرختي مع فرقعة السوط الثانية.. الثالثة.. العشرين.. لم أعد أحصي.. شعرت بعقلي يغيب.. سمعت فيما سمعت أن خالي قد هرب..وسمعت أن سنوات عمري المحدودة عند العشر لا تشفع لي.. وأخيرا،سمعت أن هذا أمر الله، فابتسمت... ورأيت أمي أخيرا.

باليه

منذ تعلمت الوقوف مستندة إلى الكراسي وهي تعشق الموسيقى وتندمج معها. سنها الآن ثلاثة سنوات، وتطلب سماع الأوركسترا.. بحيرة البجع لتشايكوفسكي هي الأقرب لقلبها ..

تذهب إلى خزانتها وتتخير لنفسها ثوبا منفوشا، وتأتي أمها لتلبسها إياه.

تبدأ في الدوران .. تحاول حتى تتمكن منه.. تشب على أطراف أصابعها.. تتمايل وتحرك ذراعيها في تناسق.. يا الله كم هي جميلة متحدة مع النغم.. تحاول الدوران على قدمٍ واحدة ، فتقع.. تبتسم لها وتشجعها أن تقوم وتكمل..

نادته ليراها،ابتسم للطفلة بحب..

- ايه رأيك نوديها الجيم اللي على أول الشارع تتمرن باليه؟ منه رياضة ومنه بدل الحضانه وبتحبه فهتتبسط ..

ابتسم بسخرية،ولم يعلق.

بعد أيام سألته مجددا ..

- البنت بتطور نفسها.. بص بقت بتلف ازاي على رجل واحده وتوازنها ممتاز علا صوته قليلا واتخذ حديثه ذلك المأخذ الخشن الذي يقطع الطريق سريعا ..

- هتروح تتعلم ترقص..

ردت في إحباط:

-دي طفلة!

-ولو

-أجيب لك فتوى ان مافيهاش حاجة

-عارف ان مافيهاش حاجة على قد البيت مش تروح ترقص بره

-......

-قلت لأ وانتهت

-هو يعني الباليه يفرق ايه عن السباحه وللا الجمباز؟

بتهكم قال:

-آه .. لا الرقص أحسن حتى بيجيب فلوس

خرجت من الحجرة لتجد ابنتها تجذبها من يدها

-ماما عايزة الموسيقى اللي بتجيبيها (تقصد بحيرة البجع)

تديرها.. تتأمل طفلتها قليلا.. ثم تقوم لتدور معها..تتسع ابتسامة الطفلة فرحة بمشاركة أمها وتدور أسرع وأسرع.. والأم معها.

يغلق باب الحجرة بعنف، ويفتح المصحف.



عاهرة

تقف لحظة تفكر، ثم تتخذ قرارها، وتدلف إلى الشارع الضيق المزدحم. كانت تتجنبه دائما، وتطيل الطريق حوالي نصف الكيلو، كي تتفادى المضايقات والتحرش في ذلك الشارع. لكنها اليوم متعجلة، وقد حان ميعادها بالفعل، وهي تكره التأخر عن موعدها، ومن يتأخرون عن مواعيدهم، بصورة مطلقة.

وجدت ذلك مبررا كافيا، لتمر حيث كرهت طويلا، رغم أنها تعلم جيدا أن من تعجل لملاقاته سمته التأخر والاعتذار.. بصرها يخترق الشارع متعلقا بآخره، وهي تمد خطاها، وتتجاهل العبارات القميئة، والأكتاف المعترضة طريقها في فجاجة. ذلك القادم أمامها يبدو أكثر تبجحا، وقد برزت ذكورته الثائرة خلف بنطاله، وبدت عيناه متحفزتان. حادت إلى الجانب الآخر من الطريق سريعا، فلم يصل لأكثر من وكز صدرها بكوعه.

مدت خطاها أكثر، وهي تضم حقيبتها إلى صدرها تضغطه لتسيطر على ألم الوكزة، وتركز في طريقها أكثر مقتربة من نهاية

الشارع، وفي ثوانٍ أخرى تكون قد عبرت إلى الكورنيش. تبطئ خطوتها قليلا، وتتنهد مرتاحة وقد بقيت أمتار فقط لتصل إلى هدفها.

أخيرا وصلت. انتبهت إلى مكالمة فائتة على هاتفها المحمول، فاتصلت بصاحبها، وابتسمت في هدوء وهي تسمع الاعتذار لتأجيل الموعد ساعة أخرى. أنهت مكالمتها، وطلبت لنفسها كوبا من الينسون، وغرقت عيناها في رقرقات المياه.

أصدر هاتفها رنة قصيرة، فنظرت للاسم، وزفرت في اشمئزاز. إنه هو.. ينبهها لكونه في انتظارها على الإنترنت. أحست بألم صدرها أكثر، فلفت ساعديها معا تضغطانه لتخفف الألم. أطلقت سبة لذلك الهمجي الذي سببه.. وسبة أخرى لتلك الرنة اللحوحة.

أتى النادل بالينسون، فأخذت تتأمل الفنجان في صمت، وهي تلمح نفسها غير المستنكرة إلا للألم. ابتسمت لتساؤل هب إلى ذهنها.. ماذا سيقول إن رأى زرقة بصدرها حين تتعرى أمامه اليوم؟..عادت فهزت كتفيها مستخفة..لو فكر هكذا فستضحك كثيرا..لن تبرر له أي شيء،بل ستستمتع باستفزازه.. ما الفرق بين عهر في الشارع وعهر أمام الكاميرا، حتى وإن كان زوجها.

أغمضت عينيها تحبس دمعة لا تريد لها أن تفر.. تبدى أمامها وجه زميله في الغرفة حين ملأ الشاشة فجأة، متضاحكا معه..

كانت بلا قطعة ملابس واحدة.. وكان رده إنه قد أنزل الصورة من على الشاشة، فعليها ألا تقلق.. ابتسمت مجددا.. تحولت الابتسامة إلى ضحكة علت.. أفاقت من شرودها،لتجد من حولها يرقبونها بابتسامات مختلفة الإيحاء. كتمت ضحكاتها، وهزت رأسها، وأمسكت الهاتف ترسل له بأنها ليست بالمنزل الآن.

ستتعرض لتحقيق طويل عن خروجها حين تراه ليلا.. يغار.. يغار كثيرا.. إلى درجة أن يجعلها تتعرى، وتعابث نفسها، وتهتز إثارة أمامه.. وهي تسمع في أذنيها أصوات زملائه بالغرفة.

صدرها يؤلمها.. تضغطه.. تكتشف إنه لا ألم به.. تضغط أكثر.. يرن الهاتف علامة وصول الرسالة له، ويعود الألم.



خديعة

تحتضنني وهي تحكي له.. تظهر كل الحنان أمامه. أنا لا أصدقها. أين كان فيض مشاعرها وهي تخدعني؟. سألتها عن وجهتنا فقالت أننا:

"رايحين لطنط ناخد الدوا"

كنت أتقافز فرحةً حين أخبرتني بذلك.. الحرمان من الجميع هنا قاسيًا. إنني أفرح بمجرد رؤية (ناس) إن فتحوا الشباك مرة كل عدة شهور. يحرمونني من عمتي وأبنائها.. خالتي وابنها الظريف الصغير، الذي أراقبه وهو يحاول الوقوف فيقع، وأضحك منه. ابنة عمي التي تلعب معي.. كل الناس حين اطلب الذهاب إليهم، يقولون

"هم في مصر"..

لماذا لسنا في مصر أيضا؟!

واليوم تخدعني.. وندخل وقد حملتني تدللني - وهي من ترفض ذلك دائما بحجة أني كبرت -. حولي أطفال آخرون

بصحبة آبائهم وأمهاتهم.. كنت سعيدة بوقوفنا وسطهم. وضعتني تلك ال (طنط) على سرير، وقطرت مرًا في فمي، ثم كشفت فخذي – لكأنها اختارت ذلك الثوب ليس لأني أحبه، ولكن لأنه قصير يسهل الأبرة التي غرستها المرأة بي ويداها – أمي – تثبتاني بقوة. لم أفتح فمي .. ولم تدمع عيني.. الصدمة أنتجت الصمت، وجمَّدت دمعي. حملتني مجددا على كتفها، وعدنا إلى البيت بلا حتى قطعة من الحلوى ترضيني بها. والآن ترسم التأثر وتقول أنها تمنت لو بكيت.. ما خفف عني أنه لم ينظر لها. بل أخذني أنا بحضنه، وسألني أن أحكي له.. وحكيت..

قصيرة جدا

شوق

×××

لتلك الظروف تركتك وعدت للديار . لم تتركني للهدنة .
ألححت كثيرا عبر ذلك الدخيل على الحياة ... الانترنت الكريه
وتلك الظروف انقضت وآنت عودتي العجيب أنك تتعجب أني
لست مشتاقة!!!!!!!

غيرة

×××

ذهبت إلى العمل سنينا .ولم تجد الغيرة لقلبك طريقا
والآن وأنا بين الجدران المزدوجة وتغار!!!!!!!!!!!

حب

×××

تحبني .... منذ عمر مديد عكس كل الرجال ... الماضي للروح والحاضر للجسد وتريد أن أحبك؟!!!!!!!!!!

نهاية

×××

لم تعد لي إلا إن فررت منك أنا لن أفر فأنا لم أعد هنا

هناك

وهناك.. تحت تلك الخميلة، وقف في بنطاله الأزرق، وقميصه ال (كاجوال) البرتقالي، يمضغ العلكة، ويتأمل الأجساد المكشوفة في لباس السباحة، لا تقترب من الماء، وإنما تلهو في الشمس، وتستعرض تقاسيمها على الأعين الجائعة.. وعيناه هي الأكثر جوعًا بينهم.

هناك.. عند البوابة رفضوه، وردوه خائبا، حين أتى في زيه العادي - الوطني - وأسمعوه ما اعتبره - حسب ما تعوَّد في سنوات غربته للدراسة ببلاد الغرب - تعدِّيا على كرامته وحريته الشخصية.

أما هناك.. في ركن ال (كامب) فقد تحدى وصاية الحكومة، وفعل كل ما أراد من حلالٍ أو حرامٍ. دقَّ الأرض بقوَّةٍ،وسجَّل أقوى اعتراض وسبَّة.. في حكومته.

هناك.. في بلاد الغرب، تعلّم أن أفضل ما تكونه هو نفسك، وأن إخفائك لحقيقتك لا يغيِّرها. عايروه - دون تصريحٍ - بأنه ينتسب لأصحاب ال (غُطرة). رفضت نساؤهن عروضه - إلا

العاهرات منهن -.. وتحطم غرور غنوته المفضلة (عربيٌّ أنا اخشيني...) حتى كره من ألفها ومن غنّاها.

هناك.. حيث عاد.. إلى جلبابه، وغطرته.. وتبجيل حكومته.. رأى تلك الواجهة الزجاجية. دخل إلى مسئول المحل، شاهرًا بطاقته (المرعبة) متهمًا إياه بإهانة البلد وحاكمها وقوانينها.. فعليه أن يخلع كفوف ال (مانيكانات) اتقاءً للحرام والشُبهة.

وهناك.. بعيدا بعيدا.. في مرَّتِهِ الثالثة بعد المائة.. عاد إلى ال (كامب) مطمئنا آمنا.. طالما تجنب إهانة البلد والحاكم والقوانين.. فجلبابه بالبيت معلق تحت الغطرة،محفوظا من الدَنَس.

عين الحسود فيها عود

يا حلاوة

يرفع ذيله حتى تظنه عامودًا مصبوبًا، ويقف أسفل السلم مترقبًا.. يصدر ذلك المواء المختلف جدًا.

هو لا يحبه منذ أحضرته.. ربما فقط لشهور قصيرة حين كان في وجهه جمال الطفولة.

حين جن جنونه، لينزل إلى الشارع، راقبه لدقائق، ثم فتح له الباب، وأخرجه بركلة، شهقت لها.

قمت إلى الشباك أتابعه.. لا أدري هل التفت إليّ حقا، قبل أن يصدر ذلك المواء الغاضب، ويجري، ليختفي، أم هيئ لي. ربما مخطئة أن ألاحقه في تلك اللحظات الخاصة جدًا له، لكنني لا أستطيع منع نفسي.

أراها.. إنها زبونة دائما لسلال القمامة، لها عين عمياء، ويبدو على جلدها المرض، في المناطق التي سقط شعرها فيها.

كدت أصرخ عليه، حين رأيته يناوشها.. لكنه سبقني، وابتعد معها وراء صناديق القمامة.

ربما حتى لو كان قريبا، ما ناديته.. بالأكيد كنت لأخاف أن يسمعني هو، فهو لم ينم، كما يتظاهر على الأريكة.

مر اليوم، واليومان قبل أن يعود.. من حسن الحظ أن عاد، ليجدني أترقبه وحدي بالبيت، فغريمه نائم بعد أن أعطيته الحقنة في موعدها. حملته إلى الحمام، فاستسلم تماما، ولم يصدر اعتراضه المعتاد. استرخى بعدها، والتهم ما وضعته له، ثم نام.

ابتسمت،وأنا أعبث في شعره بأصابعي،أستشعر سلامه النفسي..ضحكت كثيرًا حين تخيلت إنني ربما لو كنت عمياء العين، مريضة، لما تمسك بي أبي أمام الخاطبين في تلك السنوات الغابرة.

مُتَيم

صغير وسط ذلك المعبد الضخم.. لا يكاد يبين إلى جوار عمودٍ فيه.. أمام تمثال الإله يقف.. صامتٌ لساعاتٍ.. في خشوعٍ يقف..

يبكي قلبه لا لسانه الكلمات..

تجلى كي تراك هنا عيوني
فقد زاد الزمان لظى جنوني
فهب لي نظرةً تشفي جراحي
تُرتِق ما تأجج من شجوني
أجبني يا حبيبي أين أنت؟
و خلِّصني بعطفك من ظنوني
فقد ذابت عيونُ القلبِ شوقاً
كأن الشوقَ لا يحيا بدوني
و دونك كل شيءٍ، فاهدِ قلبي
و كن مطراً تنزِّل من مزون

إذ ينتهي من مناجاته، يمسح دمعاته، ويقف رافعًا عينيه إلى تمثال الإله.. تأخذه الرهبة حتى يكف عن النظر.. ينصرف، وفي قلبه أمل ورجاء العبد المحب.

أيامه تمر.. قسوها لا تتريث في القرار، فتضربه وتشتد.. فقط كعادها.

وكعادته، يبكي خائفًا أن يكون ذلك ليس إلا غضب إلهه إذ يقصِّر نحوه. ليالٍ يقضيها في بيته لا ينام.. يدعو.. يتذكر التمثال فيرتعش بدنه.. يسجد طويلاً لصورته في خياله.. ويأمل كل ليلٍ في غدٍ.

ينتهي الأسبوع، ويجئ يوم إجازته، يهرول إلى المعبد.. ينبطح على الأرض أمام تمثال الإله. يدعو ويدعو كما لم يفعل من قبل.. يتساءل عن تلك الجفوة.. لماذا لا يجيب له دعوة، ولا يترفق به في قدر.. لو أن الحجر سمعه لانهار حبًا له.

يمضي الوقت، ويخلو المعبد مع دخول الظلام. لكن يظل هو في مكانه.. خلا عقله من كل أمنيةٍ ودعاء، إلا شيءٍ واحدٍ امتلك ناصية الرجاء في قلبه..

لرؤية نورِك القدسي غصةُ قلبيَ اشتاقت

سئمت العيش و الدنيا و نفسي بالورى ضاقت

و شاخت بالأسى روحي لهول و فرط ما لاقت

رفع رأسه إلى عين التمثال كأنما ينظر في عين الحبيب..

تنزل ها هنا نوراً يريح الحائر المشتاق

لتسعد في الدنا روحاً تضيق بلوعة الأشواق

إلهي : إن بعض الوجد يمحو دكنة الأحداق

يقترب من التمثال زاحفًا.. يمد ذراعيه على اتساعها محاولاً احتضان قاعدته.. يجهش..

أنا المكلوم يا ربي و لن أشفي بغير رضاك

فدعني أعبر الآفاق و الأوجاع حين أراك

و هل يرضيك هذا التيه يا ربي لمن يهواك؟

اتسعت عيناه وهو يجترئ على الدعاء بما تمنى.. رفع صوته حتى ظن أن السماء ترتج له.. ردد المعبد كله كلماته..

ضاق الفؤاد/ تعاظمت أشجاني

يا ربنا دعني أراك تراني

أرايت ربًا لا يجيبُ عبادَه

هل يُستجابُ الذكرُ بالنسيانِ؟

دعني أراك انزل إليّ فلم يعد

في القلب ما يقوي علي الخفقانِ

جيش الشكوك اجتاح روحيَ فاهدني

وصلاً يذيب الشكَ بالإيمانِ

ترتجف السماء..تتخبط سحاباتها العلا فتصيح رعدًا لا يصل إلى الأرض،بل يزعج تلك الرحابات المنعزلة عن الأرض وصخبها..يلتفت ليرى ما الذي يحدث..ينظر إلى الأسفل.. بعيدا بعيدا.. ما ذلك الكائن الضئيل الصارخ.. يصل صوته إلى أذنيه مبتهلاً بكلماته المجترئة:

أرأيت ربًا لا يُجيب عبادَه

هل يُستجابُ الذكرُ بالنسيانِ؟

أجن ذلك الحقير؟!.. ينصت إليه.. يوجعه الكلام، فلم يزل له مشاعر الإشفاق.. يفكر.. يقترب أكثر من الغيمة الفاصلة بين حدود البشر وغياهب المجهول الربوبي في السماء.. يراه محتضنا تمثاله في منظرٍ لم يتخيله قبلاً.. أيمكن أن يصل التعبد بأحد هؤلاء الحمقى إلى هذا التولُّه؟!

يسمع شهقة عبده.. تتلاقى عيناهما، فيؤخذ للحظة.. لقد رآه.. يبدو أنه شرد مع ما يراه حتى غفل ونزل أكثر مما يجب. حار قليلاً فيما يجب أن يكون..إنها أول مرة يراه بشر.. مد بصره إلى الأسفل ثانية..شهقة العبد.. ذهوله.. قد خر ساجدًا باكيًا.. أحقا يحمل كل ذلك الإيمان به في قلبه؟! لم يتخيل أن يكون يومًا إلهًا إلى ذلك الحد. يهدأ بكاء الفتى قليلاً، لا يصدق أنه رآه، فيرفع رأسه ثانية..

والتقت عيناهما.. في عيني الإله جمود وقوة.. وبعين العبد حب وإجلال وخشوع.. ربما للحب قوة تفوق جمود الآلهة..!

تمهل يا عظيم الحزن و اهدأ و استرح و اسمع

تجلت قدرتي في الكون قد يضنيك إن ألمع

و لو كل الذي يدعو يجاب لماجت الأدمع

أجيب دعاء من أبغي و بعض الشوق لا ينفع

و كم من عابدٍ ظمآن يدعوني و لا يجرع

سأنزل إنني الماحي جوي المنكوب إذ أسطع

ستظفر بالذي ترجوه من كرمي فلا تجزع

ضياء يملأ ذلك الحيز الذي يشغله التمثال.. فقط.. كل ما حوله ظلام، والتمثال يتألق بنور الإله وحده. يلجم الفتى لا ينطق.. تتجمد دمعاته وشهقاته وكلماته. يتساءل بينه وبين نفسه إن كان قد أخطأ في رجائه.. وإن كان سيصمد أمام تحققه.

يومئ له أن اقترب.. يتردد.. فيشير له بصولجانه، ويعلو الجد وجهه، فيرهب الفتى ويقترب مرتعشًا.

بكل هيبته يفتح فمه ويتكلم ليقول فقط..

- أيها العبد..

يعود فيبتسم في عطف ويسكت..

الفتى لا يدري ماذا به.. هذا إلهه الذي طالما تمنى رضاه.. تمنى أن يسمعه..وتمنى أن يفوز بحضرته.رغم ذلك لم تقع كلمته في

قلبه إلا قاسية.. قاسية قسوة أقدار الإله عليه طوال حياته. يعرف أنه عبد له، ولطالما استمتع بتأليهه.. لكن أتلك هي الكلمة التي يناديه بها مقابلاً كل ذلك الحب؟!.. تذكر أول ما عرف الآلهة.. أحبه هو دون أي منهم.. تلك الابتسامة التي اختلطت بجبروته جعلته يأمل فيه ما لم يأمله في غيره..لكنه الآن لم يدعه إلا.."العبد"

طأطأ رأسه، ورد:

- نعم يا رب

قهقه الإله.. ارتج التمثال الذي يتجسد فيه.. ارتج قلب الفتى معه.. يحب ابتسامته التي تعده بما يرجوه – رغم أن شيئًا من رجائه لم يتحقق– لكن تلك القهقهة مفزعة!.

سأله عن حبه له.. عمن علّمه حب الآلهة.. سأله إن كان يريد مكسبًا من وراء دعائه.. حزن الفتى من ذلك السؤال.. عصر الحزن أضلعه

سأله،وسأله، وسأله... وتعجب منه.. وانتفخ صدره إشباعًا.. له أن يتيه على سائر الآلهة بحب ذلك الفتى،فمن منهم يحظى بذلك التدله غيره..

تكلم وتكلم.. فقط مغترًا.. كأنه لم يرَ من كل ذلك الحب إلا مأربه من النشوة..

أنا العلوي والقدسيٍ في ديمومة الملكوت
ويعبدني الورى جبراً لأني صاحب الجبروت
أنا الرب الذي يختار من يحيا و من سيموت

نظر لعيني الفتى.. رآها؟.. نعم رآها.. رأى فيها الدمع.. رأى الرجاء.. فانتشى أكثر وأكثر.. كان رجاء الفتى حارًا كما لم يكن من قبل.. لكنه لم يكن كما كان من قبل!..

توسل واستعر شوقاً وقبّل طينة العتبات
تذلل بالدعاء إليّ في التعظيم و الصلوات
أشاء فأفصل الأحياء يا عبدي عن الأموات

وجم الفتى.. نظر إلى إلهه فيما يشبه العتاب.. كان التيه بذاته قد بلغ مبلغه، فلم يرَ نظرة عبده الزائغة. عقل الفتى كما كوكب فقد مساره، فتهاوى في ظلمات بلا نهاية.. أفاق إلى نفسه، فوجل قلبه حين أدرك كم طالت نظرته لإلهه.. لم يجرؤ على فعلها أبدًا أمام التمثال!

لماذا لم يعُد في النفسِ ما للربِ من علياء؟
و غابت شمعةُ التقديسِ، و الدنيا بغير ضياء
جريحٌ بين حد الكفر و الإيمان في الهيجاء
و هل للربِ بعد الآن أرضٌ تصطلي و سماء ؟

طال اللقاء حتى لم يعد هناك ما يقال. الرب راضٍ منتشٍ.. والفتى ابتسامته ظاهرها فيها الاستكانة، وباطنها فيها ثورة رعناء تجلد كل عمره الفائت.

امتدت يد الإله فمس كتف الفتى لحظة، قبل أن يقهقه، ثم يختفي، والمعبد والهواء والنجوم يرتجون لصوته. بعدها، هدأ كل شيء.. صمت.. ظلام.. ودموع لا تسكن.

قام من مكانه، وبدأ مشواره إلى بيته. يطل هنا وهناك.. يتأمل ما حوله زاهدًا في كل ما حوله. يبحث عن الأمل بداخله، فلا يجده.

أسبوع.. أسبوعان.. أشهر.. والفتى حريص لا يزال على الإتيان للمعبد يوم إجازته. فقط يقدم قربانه.. دعوته.. ويعجز عن تقديم قلبه.. فلا يملك إلا البكاء.

القوم يرونه، فيغبطون إيمانه وبكاءه للإله.. شيئًا فشيئًا يذبل.. في طريقه للموت أمسى..

يسمع الهمهمات حوله.. يريدون إحضار أعظم كهنة المعبد لأجله.. يسمونه القديس.. يسمعهم يحكون عن رحلة آلامه التي منحها الإله له ليكرِّسه قديسًا.. يدمع..

أنا الرجل الذي أضناه عشق الناس للتهويل

أواجه غصة الدنيا بجسم مثخنٍ و نحيل

و هل يقوي علي التحليق طير متعب و هزيل؟

ويضحك ساخرًا في نفسه وهو يراهم يرسلون أحدهم ليسرع إلى الكهنة ليدركوه ببركة الإله قبل موته..

كفرت بربكم سراً لأجهر للسما بالسر

و بعض الكفر إيمان و إيمان الفراغ يضر

براح القبح يا قومي يضيق إن استفاق الحُر

يدخل موكب الكهان.. يتسع لهم الطريق والحضور يلتصقون بالجدران في مهابة، وقد فوجئوا بكل ذلك الموكب.. يتكلم أكبرهم شارحًا أن الكهنة أجمعوا أن لم يروا متبتلاً للإله كما هذا الفتى الدامع أبدًا.. يبدءون في إنشاد صلواتهم للإله.. تتسع عيناه يريد أن يصرخ فيهم... ولا يستطيع..

أنا كافر بك يا إله الشوق في حضن الجراح

ويحسب الجهلاء أن الكافر العشاق للتحنان قديساً يموت

ما أقبح الأرق الطويل وقد تعاظمت الحماقة

و استحال الكفر إثباتاً لتبجيل الخضوع بساحة الرب المزيف

و اللذين تجمعوا في مشهد الموت المهيب



ربما!!

كل يوم يجلس وأمامه تلك الليمونات القليلة، التي ربما لا تقل ولا تزيد. كل وقت هو ناعس العين، غير منتبه لمن يضع له ورقة، أو قطعة فضية بجوار الليمون، ويمضي دون أن يأخذ من الليمون مقابل ما دفع.

كنت منهم يوما.. في الحقيقة أكثر من مجرد يوم. كانت فكرة أن ما يدفع شيخا في سنه للنزول إلى الشارع، للارتزاق ببعض الليمونات، هو بالتأكيد عيش فظ، لم يرحمه فيه الزمن.

مرة.. ومرات، ثم بدأت أغتاظ منه.

لا أدري سببا معينا لغيظي. أهو إنكاري لأن يكون دافعه هو العيش القاسي، أم استنكاري لعدم بيعه الليمون مع القبول بالشحاذة؟.. ربما هو البرود المرتسم على وجهه، وتلك العينان الناعستان، اللتان لا تلتفتان، ولو بشكر لمن يعطه.

واتتني فكرة شريرة.. انحنيت أمامه، وفتحت الكيس البلاستيكي معي، وأخذت كل الليمون من قفصه، ووضعت مكانه ما قدرت أنه قيمته من المال...و..

سمعته يسبني وأنا أبتعد، والضحك يغلبني.



حادث



مستهترا!.. أنا من أوصف بتلك الكلمة!.. لم يحدث ذلك في حياتي كلها، منذ كنت بصف الروضة بالمدرسة لم توجه لي.. فهل أسمح بأن تقال لي الآن؟!.

أتلفت حولي.. كل تلك الفوضى هنا.. يخفق قلبي إذ أرى سيارتي العزيزة محطمة، فأهم إليها، لكن أقف فجأة.. فالمشهد واضح، والسيارة هي سبب الفوضى وليست ضحيتها. أتذكر ما حدث.. أود لو بكيت.. لكن..

الحقيقة.. إن قلبي لم يخفق.. وأنني لم أود البكاء.. فقط أسترجع مثل تلك الرغبات كرد فعل تعودته طويلا.

يطلق أحدهم سبة أخرى.. أتحفز.. مغتاظ أنا بشدة — أو هكذا أفترض أنني يجب أن أكون—، وأريد أن أشرح له خطأه. لكن لا أستطيع..

ألتفت ثانية إلى سيارتي الحبيبة.. بالتأكيد ستحزن زوجتي كثيرا. لكن ذلك لا يهمني الآن، فما يوجعني هو فقط إهانتي واتهامي بالاستهتار..

اقتربت ممن يبدو أنه صاحب الدكان ذي الواجهة المحطمة. له الحق أن يغضب، فربما أن الواجهة المتكسرة والبضاعة التي خسرها أغلى حتى من خسارتي في السيارة.. لست كما يصرخ شابا سكيرا، ولا مستهترا، ولم يتسبب استهتاري فيما حدث لي..

أريد فقط أن أشرح لهم.. أنني هنا من قبل الحادث.. وليس الحادث ما أرسلني هنا.

زعابيب



كانت تعرف أن كل ما حكته (ميس) الناظرة هو الحقيقة. تعرف أنها لو عاد الزمن لما ترددت في نفس الفعلة.. تعرف أيضا أنها لا تعرف كيف تبرر ما فعلت.. وتعرف الخوف بمعناه الأمثل وهي تنظر لتعبير وجه كلتيهما.

- غريبة جدا عمرها ما عملت كده

تنظر الناظرة للفتاة بقسوة، وترد:

- تصرفها مشين ولازم تكونوا حازمين معاها. المرة دي.. ولي أمر مريم ما رضيش يشتكي واكتفى بضرورة استدعاءكم، لكن لو اتكررت ما اضمنش اسيبها تستمر في المدرسة.. احنا مدرسة عريقة ولها سمعة طيبة.

تشد على يد ابنتها، حتى تتأوه البنية، وتحاول إفلات يدها.. تميل عليها، وتسألها:

- ليه بس عملتِ كده؟ انا مش فاهمة.. طيب هي زعلتك في حاجة، ولّلا اتخانقت معاكِ؟

" بتجري قدامي وضفيرتينها بيتمرجحوا ويخبطوا على ضهرها"

كانت تجيب نفسها.. تنظر لأمها مستجدية فهمها لما لا تنطقه.. أليست أمها!

- يا بنتي انطقي.. عملت لك حاجة؟

ترفع رأسها وتحدق في أمها..

***

- بتوجعيني
- بطلي استعباط الشعر ما بيتوجعش
- ازاي وانتِ بتدبحيه بالمقص؟

تضحك من سذاجة تعبيرها، ولا تعلق مستمرة في تسوية قصتها فوق حاجبيها

- عايزة شعري يبقى طول شعرك يا ماما

- مش وأنتِ صغيرة كده.. يلم حشرات من المدرسة

- ازاي يعني.. طيب مريم شعرها طويل.. بتعمل ضفيرتين.. أنا عايزة ضفيرتين زيهم لحد هنا

- شعرك خفيف.. نقصُّه دلوقت عشان يتقل.. لما تكبري طوليه زي ما أنت عايزه

***

- جنة! أنت سرحانة في ايه مش تردي على ماما يا بنت.

يفزعها صوت الناظرة فتخفي وجهها في ثوب أمها، ولا ترد..

تشكر أمها مديرة المدرسة.. تكرر اعتذارها، وتعدها ببحث الأمر مع والدها. تنصحها الناظرة بالكلام مع الأخصائية الاجتماعية، فتبتسم مجاملة،ثم تجذبها من يدها إلى خارج الحجرة..

في الفناء، ترى مريم تجري.. لا تزال ضفيرتاها تتأرجحان وتخبطان ظهرها.. تجذب نفسها تجاههما، لكن شدة قوية من أمها الغاضبة تكاد تكفئها على وجهها.. ترمق مريم بطرف عينها في غيظ، بأعينٍ دامعة.

دیکولتیه



ينسحبُ عن الأكتافِ.. متسعًا.. يكشفُ حِملاً.. وجمالاً يزأرُ تحت الحِمل.. والعنق طويلا كنفرتيتي.. يتجرأ.. لكنه لا يعلو أبدا.. أو يفخر بالرأسِ المبهر ..فالحِملُ يشدُّ النفسَ لأسفل.. والأسفل.. أيضا مبهر.. وعيونُ الدنيا لا تهدأ.. وتبحلق.. لا تنظر عينٌ ما تحمِل.. لا تعذرُ تلك الأكتاف.. ما منها رحيم.. لا تفتأ ترمي وتحقِّر.. وملامٌ ذاك الـــ (ديكولتيه).. معذورٌ طبعا من ينظر.. فالحلوةُ من رحمِ رجيم.

ينسال الكحلُ مع الدمعِ.. تبحث بالعينِ عن الجمعِ.. والأملُ بفرجٍ يتبدد ..أشباحُ الحسرةِ تتمدد.. إذ ذابَ العمرُ مع الشمعِ..منكورٌ ذا الحلمُ مُفنَّد.. وجمالُ الزهرةِ والمرمر.. تعصفه النوّةُ يتكسر.. بأكفٍ لئيم.

ويضيق الـــ (ديكولتيه).. كي يخفي أعماقًا أبعد.. لم تعد الأيدي تتودد.. فالوجه المظلم يتجعد.. والشعر الفاحم كالليلِ.. قد صار هزيلا يتردد.. ما بين الفضةِ والأسود.. لا يجدُ نديم.

الجسد سيسكن في الأبيض.. والقلب سيهدأ لا ينبض.. في غفلة
كلٍ مريديها ..ونفوسٍ كانت تُدنيها.. قد صارت هاربةً تركض..
كلٌ في شأنٍ يغنيها.. فافتقدت قلبًا يؤويها.. في الحلمِ قديم.

نذير

يقف على حافة نافذتي في الصباح، ليوقظني على نعيقه.. له أكثر من أسبوعٍ يفعلها، منذ أن بدأت إجازتي. أنهض فأجده ينقر زجاج النافذة.. لا بل يحك رأسه بها!!.. أتعوذ بالله، وأقنع نفسي بحرمة التشاؤم.. لكنني أتحرك في الغرفة وهو يتابعني في اجتراء من وراء الزجاج. فكرت مرة أن أفتح النافذة، وأهشه، لكن حين هممت بذلك التفت تجاهي، مرفرفا بجناحيه، وكأنه يتأهب للدخول.

فزعت،وأسرعت أغلق الشق الذي فتحته من الزجاج، وكلي الرعب أن يمد رأسه فأذبحه بالحافة المعدنية. مع صفق المعدن تخيلت منظر دمائه تنتشر على الزجاج، فاقشعر جسدي. تلفت حوالي.. لا يزال الظلام يغلب، ولون الزجاج الداكن يزيد العتمة.. زفرت بنقمة.. لم أر على نافذتي يوما عصفورا، ولا سمعت بلبلا يمر بها، وأخيرًا ذلك الغراب يلتصق بها أياما متتالية.. أي حظ هذا؟!

تأففت، وتوجهت إلى الحمام. إنه يوم عودتي إلى العمل.. واربت الباب، وأنا أطل من ورائه برأسي، فإذا به يبادلني النظر، فصفقت الباب بعنف.

الماء الساخن يرخي أعصابي بعض الشيء.. أجفف جسدي في تمهل، على أمل أن يكون قد ملّ، وطار عني.. أنظر في المرآة، فوق الحوض، فألمح رفرفة وراء زجاج الشباك المسنفر، فأفزع.

أسرع بارتداء ملابسي، وأفتح باب الحمام، لأتنهد، لا أدري راحة أم قلقا..هل اختفى هنا لأنه أتى ورائي بالحمام حقا؟.. ماذا يريد ذلك التعس، فليس لدي ما أعطيه إلا فائضًا من تعاسة.

توجهت للمطبخ، وأعددت لنفسي كوبًا من اللبن الدافئ، وشطيرة من الجبن. أنهيتهما سريعا، وقررت النزول، طالما الوقت مبكرًا، فلأقرر الذهاب للعمل مشيا، فالجو صحو، والبرد منعش.. والهروب من وجه الغراب هدف.

نزلت السلم وأنا أفكر أن زيارته اليومية هذه وراءها شيء.. رسالة من الغيب ربما.. نظرت حولي في الشوارع الهادئة.. لم أنزل من البيت، منذ أسبوع كامل، فابتسمت للطريق، ولهدوء البكور، وللشجر..

وفاجأني النعيق..

نظرت لأعلى، فوجدته يطير منخفضا.. بالطبع ليس بالتأكيد هو نفسه.

حام مرة.. مرات.. انخفض أكثر، وأنا أحاول أن أطرد صوت التشاؤم من رأسي، وأمد خطاي، متلفتا، في انتظار سيارة ماجنة، أو سكين متربص.. أي شيء كريه يحدث.

أحسست ببلل في قفاي وظهري، فارتجفت قشعريرةً.. أغمضت عيني، ووقفت لبرهة. ابتعد صوته الكريه. مددت يدي لأمسح قفاي، فكدت أتقيأ تقززا.. أطلقت سبة، وعدت إلى البيت..

ولم أره بعدها.



مغادِرة

صبغت شعري

نظرت في المرآة

كرهتني

فابتسمت

كنت أعرف أني سأكرهني هكذا

دائما لا أحب إلا لونه الأسود الفاحم

ولأنني وجدتك تغادر

كان يجب أن أكرهني

فصبغت شعري

لبست ردائي البني

أكره اللون البني

أنظر إلى جسدي في المرآة وقد تغطى به

فأكرهني
ولأنك مغادر
أردت أن أكرهني

تغادر
ألحق بك على الطريق
وأقف أمامك
بشعري المصبوغ
وثوبي البني
فتبتسم
وتحبني هكذا
لكني لست أنا
فأغادر
وأكرهك

المطب

"الولا كمال متجبس داخل في شهر اهوه.. ولا حد مسك المؤذي ابن المؤذي اللي ضربه ولا حد حاسس باللي نابه.. ده موت وخراب ديار.. مصاريف علاج وحكما من جهة ووقف حال لشغله من جهة.. بس أنا مش هاسكت.. إن كان ماحدش عارف يجيب لابني حقه ابوه يجيبهوله"

قرب الفجر، وحركة السيارات هادئة إلى أدنى حدود الحركة على الطريق الزراعي.. يجري رافعا جلبابه بين أسنانه، ويقابل سيارة نصف النقل القادمة من الاتجاه الآخر. يبدأ ومعه السائق – الذي نزل من مكانه – في إنزال الحمولة.. إيقاد اللهب.. وتتصاعد الرائحة الخانقة، التي تثير أزمة الربو لديه، ولكنه يستمر.

......

لم يره هذه المرة أيضا، وقد غشى المغرب الرؤية.. يضغط المكابح بشدة، ولكن السيارة تحتك بالمطب، فيصر قلبه نحيبا مع صريرها.. لا زالت جديدة، لم يرد ثمنها بعد.. ادخر سنوات

كثيرة ليشتريها.. يطلق سبة ثم يستغفر، ويدعو بانتقام الرب من ذي العقل الغبي، الذي صنع هذا المطب القميئ.

يطول الوقت بطول الطريق.. لو كانت مطباته آدمية، لوصل منذ ساعات، وقضى مشواره، وبدأ الأياب. لكنهم (حمير).. (مؤذي ابن مؤذي اللي بيعمل كده في عربيات الناس).. يحسد سيارات النقل الكبيرة العالية، التي لا تحتك (عفشتها) بالمطبات. كلما تاب وأناب، سمع السباب من قائدي السيارات حوله، فيقنع نفسه أن الحق معه، وأن سبابه ليس ذنبا.

...

" زغرودة يا ولية لسلامة كمال"

تنطلق الزغاريد من أم كمال،وتجاملها جاراتها، فتملأ الزغاريد الساحة أمام الدار، ويخرج كمال مع أبيه متعكزا على عصا غليظة، ليتجها إلى القهوة، حيث ينتظرهما الرجال،هناك على البر الآخر من الطريق الزراعي.

رغم الحادث، تظل هي القهوة المفضلة له وللجميع..

(الواد عرفة بيعمل كوباية شاي ما تسلاهاش،وبيعمّر الشيشة تعميرة خصوصي صحيح"

يتمهل إذ يصل إلى بر الطريق، وينظر إلى اليمين، فيضحك أبوه..

" ولا عمر عربية هتسرّع هنا تاني يا ولا.. دنا ربيتهم ولاد العز دول اللي ما بيراعوش حد"

يلتفت إليه متسائلا،فيخبط كتفه بكتف ابنه،ويطلق ضحكته سعيدا.. يعبران، ويدخلان القهوة،وسط ترحيب الرجال وقسم أبي منصور صاحب القهوة أن.."طلبات كمال الليلة دي عندي..ده بركة أنك نجيت يا بني..ده احنا كنا اتشهدنا واستعوضنا ربنا فيك"

يبتسم كمال، ويجلس وهو يربت بكفه على صدره شاكرا.

يطول السمر.. التلفاز لا يلتفت إليه أحد إلا أن أحدًا لا يطفئ ضوضاءه.. خبط (فيشات) الطاولة يتعالى، ومعه سبة أو اتهام بين الحين والآخر، يتلوها ضحك المراقبين.. أكواب الشاي واليانسون والعناب تعلو الصينية القديمة على يد حمادة القهوجي.. وكلما هل زائر جديد، ضرب كف جديد بكف كمال مهنئا بالسلامة.. وغابت الشمس.. وعذبت النسمات المعبأة برائحة الزرع في الحقول.. وهدأ الجميع يستمعون الأخبار.

...

تعب.. لم يعد يستطيع رؤية الطريق.. التركيز، والميل للأمام، ونور السيارات المقابلة، والآتية خلفه منعكسا في المرآة يعمي عينيه ويصيبه بالصداع.. الكل يحاول استكشاف المطبات في

الظلام. تبدو هناك قهوة، حيث يمكنه أخذ هدنة من كل هذ الشد العصبي، واحتساء فنجان قهوة يساعده باقي الطريق. يدعو على الغباء والتخلف وعدم الإحساس بالناس..

ويتعالى الصرير فوق المطب..

...

"دي طارت يابا!"

"يستاهلوا.. مانا شفتك قدام عيني بتطير قدام العربية ولا حد نفعك."

"بس يابا الراجل مات!"

"ما لسه الرجالة بيقولوا لك من شوية كنا مستعوضين ربنا فيك"

يهم بالاعتراض، فيرفع أبوه يده محذرا..

"المطب ده بيحمي ولادنا وبلدنا.. اللي عامل فيها السريع من برة البلد بقى ومش بيحس بيهم ينفلق ويروح في داهية فداك"

يأخذ نفسا عميقا..

"وعموما هنبقى أكرم منهم برضك ونكلم الأسعاف يشيلوه"

....

"الحمد لله يا حبيبي دحنا كنا مستعوضين ربنا فيك.. قالوا لنا كل ده من مطب أهالي.. ربنا ياخد الجهلا اللي مش بيحسوا بالناس دول"

ينظر إليها في حسرة.. يسألها عن السيارة، فترد بكلمة واحدة تزيده حسرة..

"فداك"..



تذكرة مترو

حملت الحقيبة متأوهة.. ظهرها يؤلمها.. يمر الشباب أمامها، فكأنما لا يرون. أحست فجأة بحملها يخف.. التفتت، فإذا بامرأة منتقبة ترفع الحقيبة معها حتى نهاية سلم المترو، ثم تتركها دون كلمة.تمتمت بكلمة شكر،لم تدر أخرجت أم لا.لا تحب المنقبات، لكن المرأة أغاثتها حين تخاذل الرجال.

أخذت تذكرها، وجرت الحقيبة على عجلتيها لتكمل مشوارها، وأخذت تعد محطة.. اثنين.. ثلاثة.. ونزلت في الرابعة.

رن هاتفها.. كان ذلك الرجل، صاحب الأمانة التي حمّلها لها زوجها لتوصلها له، هدية من أخيه، رفيق زوجها في غربته. تسمعه يقول لها إنه على الجانب الآخر من المحطة. صرخت به أنها لن تحمل كل ذلك الثقل صاعدة سلمًا آخر. انتظرته في مكانها، شاردة في ألم ظهرها.. رن الهاتف.. تنظر إلى مكالمة لا يظهر رقمها.. إنه هو –زوجها– يطمئن، أو يكلفها مشوارا جديدا. أتى، قاطعا أفكارها.. صافحها، وأطال بقاء يدها في يده، ناظرا

في عينيها، فتصنعت عدم الانتباه.. فحمل أمانته (الثقيلة) عنها أخيرا، ورحل.

أقامت ظهرها، بعد أن تحررت من حملها.. نظرت إلى عباءها، ربما بها خطأ ما، هو ما جعله ينظر إليها بتلك الطريقة، فلم تر في نفسها شيئا ملفتا. زفرت بضجر..

دقت رقم ابن أختها، وكانت واعدته أن تقابله، لترى تلك الفتاة، التي ارتبط بها، ولم يخبر أمه بعد. بينها وبينهما محطتان، فركبت المترو، وانتظرهما على رصيف المحطة، فهما سيأتيان في نفس الاتجاه.

لمحتهما من بعيد، فابتسمت.. إشراقة الأمل في محييهما فتحت أفقا خياليا جميلا أمامها.. الفتاة تطمئنها على عزيزها الغر، بطيبة متبدية في قسماها، وعفوية مريحة في حديثها. تلك النظرة، التي في عيونهما، تذكرها بسنوات قديمة.

ودعتهما،وانطلقت إلى المترو،لتكمل طريقها لزيارة أمها، ومقابلة أختها،التي تركت بيتها،زاهدة في زيجتها،بل وأبنائها أيضا، راغبة في الالتجاء لطبيب نفسي. تريد أمها منها أن (تعقّل) أختها، وتخاف هي أن تنجرف إن حادثتها مع حقيقة رأيها في الأمر. هز رأسها في اشمئزاز، وتكمل محطات أخرى بعد تلك المجاورة لبيت أمها، وتلغي فكرة الزيارة.

تبحث عن التذكرة، تضعها في مكانها، وتراقبها والماكينة تأكلها.. تبتسم، تسرع خطاها.. وتدلف إلى البيت في استرخاء.

آثار جانبية

(١)

هو.. اعتاد أن تغازله البنات

هي.. يبهرها أن الفتيات تغازله

...

متعبة.. كأن بكل جسدها وخزًا. تلف جسدها تجاه الدرج إلى جوار الفراش، وتأخذ العلبة، فتلقي بها في غضب خارج الغرفة.

تفتح عينيها أكثر، تتحفز ليوم مليء بالمواعيد واللقاءات، تقفز إلى المطبخ، فتترك الماء ليغلي في الـ (كاتل) وتجري في رشاقة إلى الحمام.

تغمض عينيها تاركة الماء يغسل آثاره من جلدها، ومعها كل ما يمت له بصلة.. تنتهي سريعا، لترتدي سروالا خفيفا، وقميصا زاهيا، وتعد فنجان الشاي الأخضر الضخم، وتضعه أمامها على

الأرض، جالسة القرفصاء أمام الشرفة المفتوحة، لترسل النسمات تحمل رائحة الياسمين الممتزج بالشاي إلى أنفها، فتأخذ شهيقا عميقا، وتبدأ دقائقا من الـ (يوجا) يذهب فيها عقلها إلى اللاشيء.

يدق المنبه المزعج، هي تختاره مزعجا، تقول إن ذلك هو الأنسب لدوره.. فتفتح عينيها شديدتي السواد، كأنما جوهرتان تألقتا في ضوء الصباح، وتمسك فنجانها بكفيها، كأنما تحتضن وجها حبيبا، ثم تسند ظهرها إلى صوان الملابس، وترتشف الشاي باستمتاع.

...

هي.. تعمل في جدٍ كعشر رجال

هو.. لا يفتأ يتحدى صمودها

...

تلك الملفات المرتبة على شاشة حاسوبها، تماما كما اليوجا، تجعلها مع اللاشيء. الانتباه الروتيني نوع من الشرود، كما تقول هي. يتكرر اسمه في كل ملف، وفي كل ورقة على مكتبها، حتى ملته.. ربما لأن صاحب الاسم أكثر مللا.

حتى في الاستقبالات، أو المناسبات، من عشاء عمل إلى حفل لا معنى له.. إلخ،روتين الابتسامات، وكلمات المجاملة، والالتفات للكاميرا واحد، ممل، ينبغي معه الشرود.

قررت.. الآن وبلا مقدمات،ووضعت الورقة على مكتبه، ضمن ورقات أخر.بعد قليل،دخلت إليه،فأخذت أوراقها، وسحبت من بينها إجازتها،فأرسلتها مع عليّ إلى الموظفة المسئولة. دقائق قليلة، ودخل إليها زميلها، يزفر نارًا..

- ازاي أقوم بعملك وأنا هاتجوز كمان أسبوع وأنتِ عارفة كده؟

ترفع كتفيها، وتقلب شفتيها دون أن تلتفت إليه، فيزداد غضبا..

- أنت ما بتحسيش بحد غير نفسك أبدا؟

يحمر وجهها، لكنها تحتفظ بهدوء صوتها، وترد:

- أنا قدمت الطلب بدون ما أكتب فيه قائم بالعمل وهو وافق.. اتفضل كلمه!

أشارت له بالدخول، ليلتفت إلى الجدار الزجاجي، ويجده مراقبا لما يحدث، وهو يتحدث بهاتفه المحمول. يعاود النظر إليها، وقد احتقن وجهه..

- طيب كفاية يومين تريحي.. أنا عارف أنك بتحتاجي هدنة منه كل شوية ومافيش مرة قلت لك لأ.. بس المرة دي أنا أولى باليومين دول دا أنا عريس يا شيخة.

كانت نبرته أقرب للتوسل.. رفعت عينيها إليه، وكادت تتعاطف معه، وتمد حبال صبرها، لتؤجل إجازها، لكنه صوت ذلك المنبه المزعج يوقظها، لتتمسك بموقفها..

- لو ما طلعتش النهاردة مش راجعة الشغل تاني وتتنقل أنت هنا على طول مش مجرد أسبوع أرتاحه.

هم بالرجاء، لكنها رفعت كفها أمامه ليصمت، واستطردت..

- فرحك الجمعة مش كده؟ خلاص أنا هارجع من الأربع دا وعد مني بس مش هاغير الأجازة احتياط لو ما قدرتش ارجع.

لم يكن بيده حيلة، فإن كان يحتاج للوقت لإعداد نفسه، ففي نفس الوقت يحتاج العمل، ليتحمل مسئولياته الجديدة. تركها، تابعته بعينيها مشفقة، لكن – كما تقول– ليس في يدها ما تفعله لأجله.

يحين الانصراف، فترتب أشياءها، وتهبط الأدوار الاثنى عشرة على الدرج، وهي تعد الدرجات ككل مساء، كي يرسلها العد إلى اللاشيء.

...

هي.. تتنصل من تلك الساعات في عمرها

هو.. يقول إنها متطلبات العمل

...

هي.. تحتاج هدنة من الوجع

هو.. يحتاج لمولود الوجع

...

هي.. تصر على الاغتسال في ملوحة البحر

هو.. يصر أن يكون هو البحر المالح

...

هي.. تدمج كل الألوان في إشعاعاتها

هو.. يحلل لون النور كمخروط

(٢)

البحر.. السماء.. الرمال.. شمس البكور.. واليوجا

تعجز اليوجا هذه المرة عن إرسالها للأفق.. تفتح عينيها، وتبدأ من جديد، أكثر من مرة؛ لكن كل ما تكرهه يقفز إلى رأسها، ومنها إلى عينيها السوداوتين، لتولد دمعة أملح من البحر.

تتنهد في يأس، وتقوم من مجلسها، لتركل الرمال في وهن، ثم تتمشى على حافة الموج.. تعبث بقدمها في الماء.. تندمج أكثر، فتجري إلى الموجة القادمة، حتى إذا كادت تلامسها، فرت منها في مرح.. علت ضحكتها، لتتداخل وشوشة البحر، وتطاير شعرها ليشاغب نسمات البر.. وخاف ثوبها كل تلك البهجة، فالتصق بها، يبتغي دفئا لن يجده.

وأتى..

من البحر يأتي.. كل مرة يأتي.. كل مرة في موعده.. الوحيد في واقعها المنتمي لل.. لاشيء!

...

هو.. الحقيقة الحلم

هي.. الهاربة

(٣)

استسلمت للبحر في جزر أعقب المد. الماء يسحبها، فتضحك كم اشتاقت للغرق.

سلمت جسدها ساكنة،فأحب الموج سكونها، وحملها في هدوء. انسحبت للداخل، فراسخ وفراسخ، حتى تلك الدوامة — الطريق—..لو ظلت على استسلامها، لما انتهت لفات دوارها، فاعتدلت واقفة.عافرت الدوامة،لتأخذها للغرق أكثر،وتنقطع أنفاسها، فتصبح مقاومتها أكثر طبيعية، فتغلبها الدوامة اكثر، وتضيق دوائرها،وتزداد ظلمتها.وينضغط صدرها،وتتحول حركتها إلى انتفاضات أخيرة، و...

تشعر بضغطة ذراعيه حول صدرها. تستدير في فزع، فتجد شفتيها بين شفتيه، يدفع فيها أنفاسه، وتتسع عيناه مع عينيها، ويزداد تألق مقلتيه عن ألق الشمس في السماء.

شفاف هو.. شعره زبد الموج.. عيناه شمس الغروب.. وملمسه انتعاشة الماء. يكمل ما بدأ.. يحييها من غرقها.. ينعشها باثا فيها حيويته..

تطرد تساؤلها المزمن عن حرمانية تلك المتعة.. تسقط صريعة الإنهاك، حتى تشرق الشمس.

...

تلملم قطع الملابس المبعثرة في الحجرة، وهي تمسك هاتفها بين رأسها وكتفها..

- لأ خلاص جاية ..... أنت بس بلغهم أني هأتأخر ساعتين وخد أنت أجازتك ..... مبروك يا عريس .... لا انا خلاص كده تمام مش محتاجة أكمل .. هههههه فعلا أسرع عودة من أجازة آخدها بس اهي تساهيل.

...

هو.. ينقذها دائما

هي.. تسعى للغرق

(٤)

كم هي محبطة هذه الجدران.. كأن لديها قدرة على امتصاص أي طاقة إيجابية تكتشفها فيمن تضمهم. لكن الأمر ليس كذلك معه، إنه دومًا منتعش.. دومًا.. ياللعجب!

تجتر ذكرياهما، وهي تؤرجح الكرسي الهزاز في جلستها أمام الشباك الكبير.. وكلما راجعت ذكرى، لم تستطع إلا أن تلقي بكامل اللوم على نفسها. لم يسع إليها يومًا؛ بل هي من سعت بشدة، مبهورة ومتحدية كل من تحطنه بعيوهن ورغباهتن. لكم رسمت ظنونًا ساخنة كلما اختفى ولم تظهر إحداهن أيضا. لكم سعت لإغرائه؛ دون أن تتعدى الحد الخطر.

تضحك – أي خطر؟! –.. كمجنونة يعلو ضحكها، حتى تنتبه لذلك الشاب المحدق بها في الشرفة المقابلة، وهو يمتص سيجارته في نهم، حتى غاص خداه، واحتبس الدخان في صدره، لا يخرجه. تتأمله للحظات، ثم تنسى وجوده.. وتعود لذكرياهتا.. وتضحك.

الشمس غابت تماما.. الصيف حار، وتحتاج لمشروب مثلج، يأتيها في مكاهنا.. كم هو مضجر أن تقوم لتأتي به. لكنها تقوم.. لا يفوهتا أن ترمي ببصرها إلى الشرفة، لتتأكد أنه لا يزال هناك، يشعل سيجارا جديدا.. ليس شابا صغيرا، بل يبدو أكثر نضجا. تتجه إلى الثلاجة، فتفتح باهبا، وتضع يديها في خاصرهتا، مفكرة

أي مشروب تختار. تستقر يدها على زجاجة ماء فقط، فتأخذها، وتعود.

تخبر نفسها أن الظلام قد حل – ربما تكذب – فتحل ال (روب) وتتمدد في الأرض قريبا من الشباك، مقنعة ذاتها أن لا أحد يكشفها من الجيران. تسرح في السقف.. تتذكر البحر، وتبتسم. هذه المرة تبتسم حقا.. ابتسامة متعة لا لوم فيها ولا ألم.. ابتسامة امرأة نالت ما أرادت.

يرن هاتفها، فيقاطع ابتسامتها. ترفعه إلى عينيها، فتلوي شفتها، ثم تضعه على أذنها.

- ها .... عادي يعني .... لا رجعت عالمكتب ومنه عالبيت ما هو نرمين قالت لي إنك لسه خارج ..... لا طبعا ماليش خُلق أقابل حد، عايز تسهر معاهم اسهروا برة ..... لا مش هاتضايق ما تقلقش، يهمني تكون مبسوط زي ما بتسيبني أسافر برضه .. باي باي يا حبيبي.

جيد أن سيسهر بالخارج.. تثني ركبتيها إلى صدرها.. تعرف أن ساقيها سيظهران لمن ينظر نحو شباكها، وتعض شفتها في عبث.. تنزل بهما إلى الأرض، وتنظر للشباك، فيفاجئها هناك، وقد اعتلى سطح بنايتهم، وتوهج سيجاره يبرز في الظلام كعين شيطان.

فزَّت من رقدهًا غاضبة، وجذبت ال (روب) من على الكرسي، ولبسته، وأسندت ظهرها إلى الحائط أسفل الشباك، حيث لن يراها، وقد تصهد وجهها غيظا. دقيقة أو ربما اثنتين، وهدأت.. بل ابتسمت.. رفعت رأسها قليلا، لتجده قد ذهب، فعادت لرقدهًا، متدثرة في (روبها) تاركة الهواء يطيِّره قليلا، إن شاء.

..

هو.. راضٍ بها

هي.. تبحث عنه

(٥)

العلبة كما هي في الأرض منذ ذلك الصباح.. أسبوع تقريبا.. هو يأنف أن تنظف أشياءه وأماكنه خادمة، وهي تأبى أن يصبح التنظيف عملا روتينا لها.. فقط حين تتفضل به على البيت تفعل. تعبث بها بقدمها، وتدفعها أمام خطواتها.. تكرهها؛ رغم أنها المفتاح الوحيد لإزالة احتقانها المزمن كل فترة.

يخاف على نفسه من أي تركيبة دوائية، أو حتى لون صناعي في مشروب غازي. لذا، فهو يفضل ألا يفعل، عن أن يلجأ لساحر الرجال الأزرق. تظل هي من سعت إليه، فلا يمكنها لومه.. حتى وإن لم تكن تعرف.

مشكلة المشاكل الآن أن أمه تريد حفيدا، هي لا تريده.. تريد أن تكون أنثى ينتج عن حبها طفل، لا مفرخةً تنتج الطفل الذي تنتظره العائلة الكبيرة وريثا. هي تتمنى الطفل من ابن الموج الذي يمنحها أنوثتها.. حتى وإن قالوا إنه ابن الحرام.

تركل العلبة في ضيق نحو سلة المهملات بالمطبخ، وتتجه لكرسيها الهزاز.. تسترخي فيه كثيرا.. تعيش أيامًا مضت كانت تعشق فيها الأرجوحة، ويأباها عليها أبوها، كي لا يطير فستانها، وتنكشف للصبيان. تتأمل السماء بعين شبه مغمضة.. إلى أن تلمحه.

ذلك الرجل.. الجار الجديد، أو بالأصح زوج ابنة جارهما العجوز. سمعت إنهم قد استقروا بعد سنوات السفر، وتمسكت العجوز بهم يؤنسوها بدلا من إهدار مالهم في شقة، لن تكون بمستوى تلك الخاوية إلا حجرة تحتلها ولا تكاد تخرج منها إلا إلى شرفتها في الواجهة الخلفية للمنزل.

هذه المرة هو لا يقف لمراقبتها.. بل هو يجذب امرأته دافعا إياها للفراش.. الشيش الموارب مع النور المضاء يكشفهما تماما.. إنه يمتلكها، حتى تفقد السيطرة على صوتها، فيسمعها الشارع بأكمله. بالتأكيد سمعها الشارع بأكمله.. بالتأكيد ليست وحدها من سمعتها.. بالتأكيد ليست هي فقط من لسعتها تلك السياط.. وبالتأكيد كان قد لمحها من وراء الشيش، حين لمحت ابتسامة جانبية بارقة، سرعان ما اختفت، قبل أن تلمحها امرأته.

تلهث.. تحاول أن تتوارى، فتتجمد في مكانها تراقب.. تريد أن تسافر الآن، فكيف تفعل؟.. تنتزع نفسها من المكان، تطفئ النور، تلجأ لسريرها، وكتاب كانت تقرأه.. تطاردها صيحة المرأة.. عاهرة.. زوجته نعم؛ لكنها عاهرة.. لا تصدر صيحة كتلك إلا من عاهرة.

يرن الهاتف، إنه سامي، تخرس الرنين، وتلقي بالكتاب أرضا.. تقوم منفعلة إلى المطبخ، فتدوس العلبة – العدو– بقدمها في هوس.. لإن سأل عنها ستصفعه.. يجب أن تصفعه.

يغلبها فضولها ثانية، فتتسلل إلى شباك الصالة في الظلام.. تحاول التواري وراء الزجاج العاكس، وتدور عيناها بحثا. ترى المرأة وقد جلست إلى مرآتها، تمشط شعرها، وترش زخات من العطر مغمضة عينيها في استمتاع، وقد انفرج باب الشرفة على اتساعه.. تبدو جميلة.. احمرار وجنتيها يزيدها تألقا أنثويا مبهجا.. تشب على أصابعها محاولة تبين نوع ذلك العطر – لا تعرف لما – فتلتفت المرأة في تلك اللحظة وتراها.

تبتسم لها محيية، لا تستحي مما فعلت منذ قليل.. لا تستحي من ابتلال شعرها، وبشكير الحمام، الأصفر بلون الغيرة الفاقعة، هو كل ما يسترها.. لا تستحي من ضمة زوجها الذي أتى من ورائها، ليحيطها بذراعيه، ويدفن وجهه في رقبتها، يستنشق عطرها بعمق، وكأنه يتعمد إغاظة تلك الواقفة وحيدة في شباكها.

كيف تستحي.. إن لها أن تتيه عليها، وعلى علبتها التي رمتها للتو مع القمامة.

...

هي.. ستسافر

هو.. مسافر بالفعل

(٦)

مرة ثانية تضع تلك الورقة أمامه.. ينظر لها في اندهاش..

- طيب المرة اللي فاتت عدهًا، إنما في ايه المرة دي؟.. هي بتطق في دماغك فجأة كده؟! أنت حتى ما جبتيش سيرة في البيت!

- حبيبي معلش أعصابي تعبانة فعلا، والمرة اللي فاتت زي ما انت عارف حازم كان هيتجوز فماكملتش إجازتي ورجعت.

يرمقها بعينٍ غير مصدقة.. يهز القلم بين أصابعه.. عصبيا جدا.. يضعه، ثم يرفعه، ثم يمسك بالورقة، ويهم بتمزيقها، فتمنعه شهقتها، التي سارعت ببترها.

قام من مكانه، واقترب منها.. جذبها من يدها، وأجلسها على الأريكة في طرف الحجرة، وجلس إلى جوارها..

- في ايه؟

هز رأسها نافية أي شيء وكل شيء.. لن تتكلم، وهي واثقة أنه متأكد أنها لن تتكلم.

- طيب انا مش عاجبني سفرك كل شوية لوحدك كده.. بأغير يا ستي.

يحمر وجهها.. تشعر جدا بالمثل القائل (اللي على راسه بطحة...) ما يخنقها الآن ليس شكه فيها، وإنما احتمالية أن يحرمها مما يشك فيه. تحزم أمرها، وتطلق قرارها..

- هاسافر.. ولوحدي.. أنا مش مستحملة حد، وعايزة أبقى مع نفسي.

يعض شفته، رافعا حاجبه الأيسر.. يضع الورقة على المنضدة الصغيرة المقابلة دون توقيع..

- اعملي اللي أنتِ عايزاه.

تتساءل في شيء من الاندهاش:

- مش هتمضي الإجازة؟

يرد في هدوء مريب..

- مالوش داعي.. أعتقد ترجعي من الإجازة على مشروعك الخاص أفضل وكفاية عليكِ من المكتب هنا.. واضح أن التصاقنا بقى زيادة في البيت والشغل وما بقيتيش مستحملاه.

تنظر إليه في تساؤل، فيشير إلى ملف أحمر على مكتبه..

- هنفتح مركز تأهيل علمي.. دراسات وبرمجيات وصيانة.. كله يعني.. عايزين نظبط الناس بتوعنا علشان داخلين على اتفاقية تعاون مع شركة أمريكية ضخمة ولها شروط عالية..

المركز ده هيبقى مشروعك أنتِ لأنه هيحتاج حد موهوب زيك في إدارة المكاتب.

تبتسم.. ابتسامة بيضاء، خلت من لون الدم في شفاها.. إنها لم تمتلك حتى أن تهرب هي، وفركها هو بين أصابعه كذرات تراب.

....

هي.. تهزمها كلمة

هو.. لا ينهزم وإن كان مهزوما.

(٧)

وحدها بنجاح.. حتى وإن نفاها بعدها عن عملها، الذي بنت فيه أكثر مما بنى. هذه هي الرحلة الأهم.. رحلة القرار الكبير.. ستأخذ حقها كاملا.. ستفعل مثل جارتها، وتسمع الأفق آهاتها. لم تطلق صوتا معه من قبل.. كانت تستقبل متعتها حذرة مكتومة.. وكان يسقيها الحياة في ضمة تضغط صدرها، وقبلة حياة تعيدها من غرقها، ويكتفي.. وتكتفي.

تشرد وجلة للحظة، ثم ترمي حقيبتها الصغيرة، وتغير ملابسها لثوب قصير واسع خفيف.. تطير به إلى البحر.. إلى الموج.. تفتح فمها، لتهتف منادية، ولتكتشف انها لا تعرف اسمه.. تجري، تداعب الموج على الشاطئ وتضحك.. تعرف أن ضحكاتها ستوقظه.. ستجعله يرسل الرمال تسحبها، والدوامة تدير رأسها، وتأتي بها إليه.. تجري أكثر.. تبدأ في القلق.. فالغضب.. فالصراخ!

ترتمي على الرمال.. تتمرغ فيها.. تتقلب في الأرض تاركة البر.. تحتضن الموج، فيفر من بين ذراعيها، وينسحب وحده للعمق..

...

حين أتت الشمس في ذلك اليوم ال (عادي جدا).. سالت منه دمعتان إلى البحر، وجففت النسائم خديه سريعا. تساؤله

يومض، ويزول سريعا أيضا.. أعطاها كل ما تمنت.. انتشلها من واقع فقير قاتم، أبقاها في عملها الذي تعشق.. تحمل آثار الدواء الجانبية ليمتعها في الفراش حين تحتاج لذلك. يبدو أن كثرة التدليل تمرض أيضا. كم نصحها أن توقف تلك الأدوية التي وصفها لها ذلك الأفاق، الذي لجأت لعيادته النفسية.. لم تطع كلامه!

تمت مراسم الدفن في سرعة.. سيمتص التراب آثار الأدوية من جسدها أخيرًا.. وربما ترتاح.

....

هي... غرقت عشقًا

هو... يبحث عن مدير لمركز التأهيل

الفهـــــرس

